

أنا وأنت على الطريق قتل في العائلة

هل سمعت سيدتي بهذا الخبر؟ سعودي يطلق النار على عائلته فيقتل طفليه؟ تعالي معي لنستمع إلى تفاصيل ما حدث بالضبط كما أوردته الصحيفة العربية يقول:

تعرضت عائلة سعودية لمأساة في منطقة الجوف حيث أطلق أب النار على أفراد أسرته فقتل ولدين له وأصاب ولدين آخرين وطلقته (أي زوجته المطلقة) وشقيقها. ونقلت صحيفة الحياة في طبعتها السعودية عن المتحدث باسم الشرطة قوله إن مواطنا في الأربعين من عمره أطلق النار من مسدسين كان يحملهما. فأصاب ستة أشخاص هم طليقته وأربعة من أطفاله إضافة إلى شقيقها إصابات بالغة. وتوفي لاحقا طفلان يبلغ أحدهما من العمر ثلاثة أعوام والآخر في عامه الثاني. وأضاف أن الجهات الأمنية سارعت إلى القبض على الجاني الذي كان في حالة هياج. والتحقيقات جارية لمعرفة دوافع ارتكاب الجريمة. وأعرب نائب رئيس الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان عن أسفه لحدوث مثل هذه الجرائم في المملكة. وقال: "هذا يؤكد أن العنف ليس على مستوى الضرب فقط بل كُبر حتى وصل إلى القتل. وكثيرا ما نسمع عن مثل هذه الحوادث." وشدد على أهمية إنشاء جمعية مستقلة للحماية من الإيذاء مشيرا إلى أن وزارة الشؤون الاجتماعية تبذل جهودا في هذه الناحية. إلا أن كثرة اختصاصاتها أدت إلى ما أسماه الاهتزاز في معالجة هذه القضية.

وفي خبر آخر من الجزائر يقول: أقدمت شابة جزائرية على قتل زوجها في مدينة تيبازة جنوب الجزائر البالغ من العمر ٢٥ عاما ذبحا كالشاة وقامت بتقطيع جثته ثم وضعها في أكياس ورميها في القمامة. لقد لقي الشاب حتفه على يد زوجته داخل بيت الزوجية. ووفقا للتحقيق فقد تبين أن الزوجة هي التي تقف وراء الواقعة. ولم تظهر أي حزن على فقدان زوجها الذي تربطه بها علاقة الزوجية منذ سنوات قليلة فقط. كما بين التحقيق أن هناك بقعا من الدم كانت على ملابس الزوجة.

نعم خبر مزعج بالحق يا سيدتي، حتى إن النساء أضحين يقتلون رجالهن بعد أن كان هذا واقع الرجل في مجتمع ذكوري تكون فيه المرأة الضحية. وتكثر الآن مثل هذه الأخبار في هذا العصر الذي نعيش فيه. هذا العصر الذي صار يتميز بالعنف والقسوة والقتل والاعتداء. حتى ليبدو أن الإنسان قد تخلّى عن إنسانيته وراح يتصرّف بعشوائية ودون أي رادع وإزاء مَنْ؟ إزاء عائلته وأهله وأولاده. ويبقى السؤال لماذا العنف والقسوة والاعتداء والضرب والقتل في عصر التطور والتقدم؟ أهو يا ترى ما يشاهده الناس على التلفاز

ويحاولون تقليده؟ فيحوّلون الواقع إلى فيلم آخر يمتاز بالعنف والقتل؟ أم أنه تعبير ثوري عن معاناة حقيقية تصل جذورها إلى ما داخل الإنسان إلى كيانه الداخلي؟ هذه كلها أسئلة ينبغي التفكير فيها ومعرفة أسباب هذه الظواهر التي تتكرر في كل يوم نعيشه.

لقد تغيّرت الأساليب يا سيدتي مع الأسف لكن السبب واحد وهو الشر. والشر مستفحل في الإنسان منذ وقت الخليقة أي منذ أن عصى الإنسان الله وابتعد عن طريقه المستقيمة. فصار الإنسان سيد نفسه، يعمل ما يحلو في عينيه ووقع تحت سطوة أهوائه وشهواته حتى راح يفعل ما لا يليق. وإذا عدنا معا إلى أول حادثة دوّنها لنا الكتاب المقدس الذي كُتب بوحي من روح الله تعالى، فنسجد أن أول حادثة قتل حدثت أيضاً ضمن العائلة الواحدة وهي عائلة أبينا آدم وأمنا حواء وذلك بسبب الغيرة. إذ قام قايين على أخيه هابيل وقتله لأن الله قبل تقدمة هابيل أما تقدمة قايين فلم يقبلها. وتصرف قايين بفعل حقه وبغضه تصرفاً غير لائق إذ قتل أخاه ابن أمه وأبيه. واليوم وبعد مضي آلاف السنين، وحتى في عصر التطور والتحضر، نجد أن القتل يسود المجتمعات ويتخذ أساليب جديدة وغريبة. فيقوم الزوج على زوجته وأولاده ويقتلهم وتقوم المرأة على زوجها فتقتله وتقطع إرباً كما فعلت تلك الجزائرية بشريك حياتها. ترى، هل هذه الانحرافات هي بسبب إهمال الأهل في تربية أولادهم فلم يكونوا مثالا يحتذى أمامهم؟ حتى راحوا يتصرفون على هذه الشاكلة؟ أم أنها أمراض اجتماعية بحاجة إلى علاج؟ أم أمراض نفسية صارت متأصلة في الكيان الداخلي للإنسان فباتت جزءاً منه؟ وانعكست في تصرفاته غير المسؤولة هذه؟ أم مرض روحي داخل الإنسان؟

حين ينفصل الإنسان عن الله يا سيدتي، يأتي بأعمال مشينة ومخزية هي كما وصفها الكتاب المقدس أعمال الجسد. فيقول عنها: أما أعمال الجسد فهي زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة أوثان سحر عداوة خصام قتل. أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف. (غلاطية ٥) ترى، هل نهب لكي نصحح هذه الظواهر والطرق المعوّجة التي تطال العائلة التي هي أغلى ما لدينا في هذا العالم؟ أم أننا غير مهتمين بما يجري. ثم هل يظن الرجل أو المرأة اللذان يُقدّمان على هذه الأفعال بحق بعضهما البعض أو بحق أولادهم بأنهما لسوف ينجوان من عقاب الله العادل والقدوس إذا نجيا من عقاب المحاكم البشرية؟ ليتنا سيدتي نعود إلى تعليم الله في الكتاب المقدس فننتعلم منه كيف تكون لنا علاقة مع خالقنا من جديد وهكذا يعود التواصل بيننا عن طريق الفادي المسيح الذي وحده بذل نفسه بدلا عن الإنسان الخاطئ لكي ينقذه من نتائج أعمال الجسد والخطية الكامنة فيه. فهل نأتي إلى الله مؤمنين بالمسيح الفادي؟
